



يتناول هذا الكتاب تاريخ الدول الإسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي، ويتمثل تاريخها في الشطر الأكبر للجناح الشرقي للعالم الإسلامي، فقد ساهمت هذه الدول في غرس الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة في مختلف الميادين،

تاريخ الدول الإسلامية المستقلة في المشرق منذ قيام الدولة الطاهرية.. وحتى نهاية الدولة الغزنوية

فعلى الصعيد السياسي قامت بعض الدول كالسامانية بحراسة الجناح الشمالي الشرقي للعالم الإسلامي من خطر الترك على دار الإسلام، وقامت الدولة الغزنوية، بمواصلة الفتح الإسلامي في بلاد الهند، ورفعوا لواء الإسلام، وأبادوا معابد الوثنية في هذه البلاد، غير أن بعض الدول آثرت التناحر فيما بينها، واستنزاف قوتها في هذا المضمار، وذلك بتوجيه ضربات موجعة للخلافة العباسية، وخير مثال لذلك الدولة الصفارية في عهد مؤسسها يعقوب بن الليث الصفاري، كما أن موقف البويهيين ينطوي على أمرين، هما:

إظهار الطاعة للخلفاء العباسيين من ناحية، والإسراف في ذلهم وحبسهم وعزلهم من ناحية أخرى.

وعلى الصعيد الثقافي، ساهمت هذه الدول بنصيب كبير في الحياة الثقافية في العصر الإسلامي، وأنجبت مدن المشرق الإسلامي كبخارى، وسمرقند، ونيسابور وغيرها، رواداً وعلماء أُنْزِلُوا الحضارة الإسلامية في كل العلوم، بمؤلفات عزَّ الطلب عليها، من قبل الملوك والأمراء في بلدان العالم على مر العصور، ولا يزال هذا النتاج محط اهتمام ودراسة وتحقيق، من قبل الباحثين في الوقت الحالي.



• تأليف: د. عبد الحميد حسين حمودة

• الناشر: الدار الثقافية للنشر ٢٠١٠م

• عرض: د. عبد الرحمن بدوي

دور طاهر بن الحسين

في الحرب بين الأمين والمأمون

بدأ الصراع بين العباسيين بالنزاع بين الأمين والمأمون، وقد اشتد غضب الأمين حين رفض المأمون تنفيذ أوامره بالمجيء إلى بغداد، ولذلك جهز جيشاً لحرب المأمون بخراسان، وقدم عليهم علي بن عيسى بن ماهان، وخرج من بغداد في شعبان (١٩٥هـ)، وكان طاهر بن الحسين مقيماً في الري من قبل المأمون بجيش أقل مما جاء به علي بن عيسى، الذي تألف من خمسين ألفاً، وظن علي بن عيسى أنه طاهر بن الحسين، حين علم بمجيئه سوف يتلاشى أمره، وينفرط عقده، ولكن خانه ظنه، حيث أقبل طاهر في نحو أربعة آلاف فارس، وأشرف على عساكر علي بن عيسى، وتبين له كثرتها، وبناءً على ذلك وضع طاهر خطته الحربية بتنظيم صفوفه، وقسم جيشه إلى كراديس (أقسام).

التقى الجيشان، ودارت معركة حامية الوطيس بين طاهر وابن عيسى، أسفرت عن هزيمة ابن عيسى - قائد جيش الأمين - وقتله، وحملت رأسه إلى المأمون وهو بخراسان، كما خلع طاهر بيعة الأمين، وبايع المأمون، وسلم على المأمون بإمرة المؤمنين.

وواصل طاهر بن الحسين ظفره بمن يلقاه من الجيوش إلى أن نزل منطقة حلوان، فلاحق به هرثمة بن أعين في جيش كثيف، ووضع المأمون خطة لفتح بغداد، وذلك بأن يسير طاهر نحو بغداد عن طريق الأهواز، بينما زحف هرثمة عن طريق حلوان، ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة، وصلى بالناس، وخطب المأمون، وقامت دولة المأمون بسيف طاهر بن الحسين، غير أن الدولة الطاهرية لم تستمر طويلاً؛ إذ سقطت بسبب:

١ - فساد النظام الإداري في الولايات التابعة للدولة الطاهرية؛ مما ساعد على ضعف هذه الدولة، وعلى الأخص بعد أن ترك عمال

بعد هذه المقدمة، قام المؤلف بتقسيم مواد هذا الكتاب في سبعة فصول، نذكرها إجمالاً، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول

الدولة الطاهرية

الدولة الطاهرية هي أول الدول الإسلامية المستقلة في المشرق الإسلامي التي خرجت من عباءة التبعية المباشرة للخلافة العباسية، وامتدت حدودها في أوج قوتها من قومس إلى جبال الهند، ونهر السند، علاوة على خراسان، وأفغانستان اليوم، وسجستان، وما وراء النهر، وكانت "مرو" مركز إمارة هذه الدولة، ثم انتقلت بعدهما إلى نيسابور.

أولاً - نسب الطاهريين:

وتنسب الدولة الطاهرية إلى مؤسسها طاهر ابن الحسين، والطاهريون ينتمون إلى أصل فارسي، ونالوا مكانة مرموقة في خراسان قبل عصر المأمون، فقد تتابع ثلاث منهم: مصعب، والحسين، وطاهر، على حكم ولاية بوشنج في منطقة هراة.

وادعى الطاهريون أنهم من نسل "رستم" بطل الشاهنامه، ويرفض أحد الباحثين هذه الرواية قائلاً: إنها مجرد أسطورة تلصقها الروايات الفارسية بكل حاكم فارسي يحكم إيران، وقد تكررت هذه الظاهرة مع العديد من الحكام الذين أعقبوا الطاهريين، وادعوا انتسابهم إلى الأسر المالكة الفارسية القديمة.

ثانياً - أمراء الدولة الطاهرية:

١ - طاهر بن الحسين، الذي ولد سنة (١٥٩هـ / ٧٧٥م) في برشنج، وكان شديد الارتباط بها، كما كان طاهر بن الحسين واحداً من كبار قواد المأمون.

ساهمت الدول الإسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي في غرس الحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة في مختلف الميادين السياسية والثقافية



وكذلك المنظمات الفروسية الإقطاعية القائمة على قاعدة الفرسان الثقيلة ابتداءً من القرن الثالث حتى السابع، وأطلق مؤرخو العرب تسمية العياريين على جميع المتمردين والمشاعبين ومزعجي أهل المدن.

المتطوعة: أظهر فريق المتطوعة الجهاد في سبيل الله، ورد المظالم إلى أهلها، عن الضعفاء في تلك البلاد، التي تلاشى فيها سلطان الخلافة، وتصدوا للحكام الجائرين، وقاوموا جماعات الخوارج، وجاهدوا في الثغور، وعلى الأخص عندما سيطر الأتراك على شؤون الخلافة، فطمع كثير من الأمراء المحليين، ومن الخارجين في اقتطاع أملاكها، وعانت الدولة الطاهرية كثيراً من شرهم طوال فترة حكم البلاد.

استيلاء المتطوعة على سجستان: خرجت سجستان من أيدي الطاهريين في ولاية طاهر ابن عبد الله، عندما تغلب عليها صالح بن النضر الكناني من أهل بست، وذلك بمساعدة يعقوب بن الليث في سنة ٢٢٧هـ، حيث تغلب على سجستان في خلافة المتوكل، ولكن طاهر بن عبد الله أمير خراسان، استعاد سجستان من يد صالح بن النضر، الذي وافته المنية، وقام بعده بأمر المتطوعة درهم بن الحسين، وتغلب على سجستان مرة أخرى.

الطاهريين من أبناء البيت الطاهري ولايتهم، وفضلوا البقاء في نيسابور عاصمة الدولة.

٢ - انقسام البيت الطاهري على نفسه، ساعد على تصدع الدولة وانهارها.

٣ - تعسف بعض عمال الطاهريين في فرض الضرائب الباهظة على الناس.

٤ - طموح بعض ولاة الأقاليم، ومحاولة تشبههم بالطاهريين في الانفراد بحكم بعض الولايات التابعة للطاهريين، بعد أن طردوا من الخدمة التي كانوا يتولونها.

الفصل الثاني

الدولة الصفارية

كان الصفاريون، أول أسرة فارسية في المشرق الإسلامي، تحدت بصورة سافرة الخلافة العباسية، حيث قاد مؤسس هذه الأسرة يعقوب ابن الليث، ومن بعده أخوه عمرو بن الليث حركة مسلحة ضد الخلافة لاحتلال العراق.

يعقوب بن الليث الصفار: كان ابن الليث مؤسس الدولة الصفارية في سجستان، وكانت نشأته متواضعة، ثم رحل إلى سجستان، واشتغل بحرفة الصفارة، فلقب بـيعقوب الصفاري، وكان أجره الشهري خمسة عشر درهماً، وكان يعقوب جواداً كريماً يبذل كل ما يملك على رفاقه وأصحابه من أجل كسب حبهم له، وكان يراعي أيضاً حرمة جميع أقربائه.

يعقوب والعياريين: ترك يعقوب حرفة الصفارة، وعمل مع العياريين (أي جماعة الشطار) الذين يقومون بالسرقة وقطع الطرق، وأصبح رئيساً لهذه الفرقة، وترجع جذور العيارة إلى التقاليد الإيرانية الثورية كالفروسية والعسكرية والرياضة المنتشرة قبل الفتح الإسلامي في تنظيمات شبه عسكرية رياضية تحمل أسماء مختلفة؛ جوانان، جواتمسردان، وعياران.

ثانياً، الحياة الاقتصادية: تنوعت أرض سجستان إلى نوعين، هما:

تنوعت أرض سجستان إلى نوعين: رملية، وسنجية، وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل، ومن أشهر مناطق سجستان التي تميزت بخصوصيتها أرض بست والدوار.

وبالنسبة للري، نجد نهر هند مند، وهو أعظم أنهار سجستان، ويخرج من ظهر بلد الغور، ويمر على حد الرخج، ويتفرع منه ثلاثة أنهار هي:

النهر الأول: يدخل من الباب المسمى بالباب العتيق.

النهر الثاني: يدخل على باب الطعام.

النهر الثالث: يدخل على الباب الحديد.

ومن المحاصيل الزراعية: اشتهرت سجستان بزراعة القمح والحنطة والفواكة في المناطق الصحراوية، بفضل وجود شبكة واسعة من مشاريع المياه التي وفرت المياه اللازمة لتلك المحاصيل.

كما اشتهرت سجستان بالنخيل، وأيضاً بزراعة القطن، والبذور التي يستخرج منها الزيت، وعلف الماشية الذي كان يزرع في مساحات واسعة لتسمين الماشية.

كما وجدت البساتين والرياحين بكثرة في منطقة بست، وكانت الثروة السمكية توجد بكثرة في سجستان، حيث تمثل مورداً هاماً، ومن أشهر مناطق صيده بحيرة زرة.

أما عن التجارة: فقد حفلت سجستان بالأسواق العامرة، حيث كانت مدينة زرنج عامرة بالأسواق، ولها أرض عامرة، وفي كل مكان منها توجد أسواق على غابة العمارة.

ومن أهم النظم المائية في البلاد: كان يوجد نظام الخراج، حيث يبلغ عشرة آلاف درهم، ينفق في تجهيز الجيوش، وما يلزمها من سلاح وعتاد لحماية ثغورها الممتدة مع بلاد الهند والغور.

الثغور والأربطة: وجد بسجستان بعض الثغور التي تحرس الإقليم من الأعداء، وهي تقع على الحدود مع بلاد الغور، كما هو الحال في ثغر الدوار على حد الغور، وهو ثغر جليل يحرسه حراس مرتبون للمراقبة.

الفصل الثالث

الدولة العلوية في طبرستان

قبل الخوض في التاريخ للدولة العلوية في طبرستان، يحسن بنا أن نتحدث عن جغرافية طبرستان وبلدانها، ثم نتقل إلى وصول المد الإسلامي إلى هذه المنطقة ذات الجغرافية الوعرة، مما يعد دليلاً قوياً على قوة الرجال الذين تكبدوا المشاق من أجل رفع لواء الإسلام هناك.

موقع طبرستان: طبرستان هي البلاد المعروفة بمازندان، وهذه البلاد مجاورة لجيلان، وديلم، وهي بين الري وقومس والبحر، وبلاد الديلم والجبل، وهي كثيرة المياه، وكثيرة الأشجار والفواكه.

ومن أهم مدن طبرستان: أمل، وهي مستقر الولاة في العصر العباسي الأخير، وسارية، ويقال لها اليوم ساري في شرق أمل، وهي عامرة بها علوم وثياب فاخرة وأسواق، وأخلاق طاهرة.

ومن مدن طبرستان: سالوس أو سالوسن، بها قلعة من حجارة وحسن الطاق، وهو الحصن العظيم، يقع عند حدود الديلم، وهو آخر معقل لجأ إليه أصبهذ طبرستان بعد أن غلبته جيوش الخليفة المنصور، ومدينة ميله التي تقع شرق آبان وهي آخر الحدود الشرقية.

الفتح الإسلامي لطبرستان: كان إقليم طبرستان يمثل جزءاً من أجزاء الدولة الساسانية قبل الإسلام، ملوكه من أهل البلاد، ويعرفون بأصفهبة أو أصبهذ طبرستان، وكان ملوك الفرس يولون الأصبهذ ولا يعزلونه حتى يموت،

نאות الدولة الصفارية والبويهية الخلافة العباسية، ووجهت إليها ضربات موجعة لعزلها وجبها



الفصل الرابع

الدولة الزيارية

كان الحسن بن علي الأطروش، هو الذي أهّل هذه البلاد للدخول في الإسلام، وأقام بينهم ثلاث عشرة سنة، واقتصر منهم على تحصيل العشر، وبنى في بلاده المساجد، وقد لبى دعوته طائفة منهم، وخرج بهم إلى طبرستان وملكها.

وقد ذاعت شهرة أسفار بن شيرويه، وهو من أصحاب ماكان بن كالي، وكان أسفار - كما تصفه المصادر - سيئ الخلق والعشرة، فكرهه ماكان، وطرده من صفوف جنده، فالتحق بيكر بن محمد ابن اليسع عامل نيسابور من قبل السامانيين، وأقام في خدمته، وسيرهُ على رأس جيش إلى جرجان لفتحها، وكان يليها أبو الحسن بن كالي أخو ماكان بن كالي.

وفي تلك الأثناء تمكن الحسن بن علي الأطروش من السيطرة على جرجان، وقتل الحسن بن كالي.

توسع نفوذ أسفار بن شيرويه، وفي تلك الأثناء توفي كل من ابن الأطروش، وعلي بن خرشيد، فاستقل أسفار بالأمر، وانتَهز تلك الفرصة ماكان، وحذف بجيش وطرده من طبرستان، فرحل أسفار إلى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان، وأقام بها إلى أن توفي بكر، وتولى أسفار جرجان في سنة ٣١٥هـ من قبل نصر بن أحمد الساماني.

فإذا مات أقاموا مكانه ولده، إن كان له ولد، وإلا وجهوا بأصبهذ آخر؛ ولم يزالوا على شك، حتى جاء الإسلام، وفتحت المدن المحصنة بطبرستان، وفي زمن الراشدين، اتجه الفتح الإسلامي إلى طبرستان في خلافة عمر بن الخطاب، حيث عقد القائد المسلم سويد بن مقر صلحاً مع أصبهذ طبرستان؛ وفي خلافة عثمان بن عفان، غزا سعيد بن العاص طبرستان سنة ٣٠هـ.

طبرستان في العهد الأموي، ولي معاوية بن أبي سفيان على طبرستان مصقلة بن هبيرة بن شبل، وعلى الرغم من استشهاده مصقلة ومعظم جيشه في ممرات طبرستان، فلم تضعف عزيمة المسلمين، فعملوا على تحقيق هدفهم الرامي إلى فتح هذه البلاد وإخضاعها لسلطانهم.

طبرستان في العصر العباسي، استمر الوضع في طبرستان على ما هو عليه في العصر العباسي في خلافة أبي العباس، وأبي جعفر المنصور الذي فتحت في عهده، بعد حيلة ذكية من المسلمين.

قيام الدولة العلوية، حمل العلويون لواء المعارضة للعباسيين، مدعين أنهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، واعتبروا العباسيين مغتصبين لها، فقاموا بعدة ثورات ضد الخلافة العباسية، ومن أبرز من حمل لواء المعارضة ضد العباسيين:

١- الحسين بن علي بن الحسن بن أبي طالب سنة ٢٦٩هـ.

٢- إدريس بن عبد الله؛ نجا من العلويين، وفر إلى مصر سنة ١٦٩هـ.

٣- نجا من العلويين، وقد ظهر منهم يحيى بن عبد الله بن الحسن سنة ١٧٦هـ.

العلويون والترك، تعرضت الدولة العلوية، بعد سقوط الدولة الصفارية، إلى خطر آخر من جانب الترك في الشمال، وقد نجح الحسن بن زيد في هزيمتهم بمساعدة الديلم.

النهر، من قبل عامل خراسان، وبعد زوال ملك الطاهريين، استقل نصر بن أحمد بحكم البلاد. وقد حدث دخول بخارى في حوزة السامانيين، بناءً على طلب أهلها النجدة، فأرسل نصر أخاه إسماعيل، وتم الاتفاق على أن يكون الأمير إسماعيل أمير بخارى.

بداية الشقاق

بين الأمير نصر وأخيه إسماعيل

كان إسماعيل يحكم بخارى نيابة عن أخيه نصر، وحدث أن فسدت العلاقة بينهما، وتدخل رافع بن هرثمة في الصلح بين الأخوين، وعاد قافلاً إلى خراسان.

وبعد وفاة نصر بن أحمد سنة ٢٧٩هـ، بعث الخليفة المعتضد بالله مرسوماً بتعيين إسماعيل ابن أحمد على بلاد ما وراء النهر سنة ٢٨٠هـ، ثم المرسوم الخلافي بولاية إسماعيل، وذلك في خلافة المكتفي بالله.

السامانيون والأتراك: حرص السامانيون على نشر لواء الإسلام في ربوع البلاد الخاضعة لسلطانهم كلما سنحت لهم الفرصة، ثم أخذوا في شن حروب كثيرة ضد الأتراك، وصفت هذه الحروب بالطابع الديني في عهد إسماعيل بن أحمد، وإليه يرجع الفضل في توجه جهد السامانيين نحو المشرق بالجهاد في سبيل الله في تركستان، مما أكسبه احترام الخلافة العباسية، وجعل علاقته بها تتصف بالود والتقدير المتبادل، ولما توفي إسماعيل بن أحمد تولى بعده ابنه أحمد سنة ٢٩٥هـ.

أحمد بن إسماعيل والأتراك: أغار الأتراك على الدولة السامانية سنة ٣٠١هـ بخراسان، وأسروا جمعاً كبيراً من الخراسانيين، واستولوا على أموالهم، وقتلوا عدداً كبيراً منهم، فخرج إليهم أحمد بن إسماعيل على رأس جيش، والحق بهم هزائم متعددة، وخلص بعض الأسرى من بين أيديهم، وبعث إلى الخليفة المقتدر في بغداد

استيلاء ما كان على جرجان، طمع ماكان في ولاية جرجان، عندما علم ب وفاة بائجين، فخرج إليها في سنة ٣٢٤هـ واستولى عليها، وشق عصا الطاعة على محمد بن المظفر قائد جيش خراسان.

مظاهر الحضارة في عصر الدولة الزيارية:

أولاً: النظم السياسية: وتتمثل في السلطة الدينية، والسلطة المدنية مثل الإمارة، والوزارة، والحجابه، والكتابة، وقيادة الجيش، والقضاء، والدواوين.

ثانياً: الحياة الاقتصادية: اهتم الأمراء بالزراعة، ودفع الخراج، والعناية بالصناعة، وحرفة البناء.

ثالثاً: التجارة: مثل انتشار الأسواق في البلاد، وانتشار العملة، والعناية بالمكايل والموانع، والتجارة الخارجية.

رابعاً: الحياة الاجتماعية: كانت البنية الاجتماعية في عصر الزباريين، تتألف من عدة عناصر متباينة عرقياً وجنسياً، مثل: الديلم، والفرس، والترك، والعرب، والأكراد، والرقيق، وأهل الذمة؛ والزواج، والاهتمام بالموسيقى والغناء، ووسائل التسلية مثل اللعب بالشطرنج، وانتشار الحفلات، وذلك بإقامة الموائد والأسمطة.

خامساً: الحياة الثقافية: حيث اهتم الزباريون بالعلم والأدب، والتاريخ والطب واللغة، وعلم الحديث، والفلك.

الفصل الخامس

الدولة السامانية

أصل السامانية من الفرس، فهم ينتسبون إلى سامان خداده، وهم من أولاد بهرام جوبين.

أمراء السامانيين: نصر بن أحمد، الذي كان مقيماً بسمرقند، وكان والياً على بلاد ما وراء

فساد النظام الإداري في الولايات التابعة، وضعف الدولة، وانقسام البيت الطاهري على نفسه، وتعسف بعض عمال الطاهريين في فرض الضرائب، وطمع بعض الولاة في الحكم... من أهم أسباب سقوط الدولة الطاهرية



والفواكه، والموازين والمكايل، وتوفير الفنادق،
والخانات.

علاقة بخارى بالصين والهند: ارتبطت بخارى
بعلاقات تجارية مع الصين والهند منذ أقدم
العصور، وأخذت تلك العلاقة في الازدهار
والارتقاء في العصر الساماني، وأيضاً كانت
منتجات بخارى تصدر إلى العراق، وكذلك إلى
تجار مصر والشام.

الحياة الثقافية في العصر الساماني: اهتم
أفراد السامانيين اهتماماً كبيراً بالعلماء والأدباء،
ومؤسسات التعليم مثل الكتاتيب، وكان مسجد
الرسول (ﷺ) المنارة الأولى في الإسلام لتعليم
العلوم الشرعية، وأصبح المسجد أحد أهم
المؤسسات العلمية التي ساهمت في ازدهار
الحركة الثقافية في العالم الإسلامي، وكان
المسجد الجامع من أهم المساجد، حيث يعقد
العلماء مجالسهم فيه، وظهرت المدارس في
خراسان وبلاد ما وراء النهر، وأنشئت دور السنة
لدراسة الحديث وعلومه؛ كما أنشئت بعض
المكتبات في بعض المدن، وكانت الأربطة من
المؤسسات الثقافية في دار الإسلام، وهي أماكن
للمرابطة وملازمة الثغور، وقد ازدهرت علوم
اللغة بمختلف فروعها، كما شهدت العلوم الدينية

رسولاً يخبره بما فعله مع الأتراك، وطلب منه أن
يؤليه شرطة بغداد، وأعمال فارس وكرمان،
فأجيب طلبه وكتب له الخليفة عهداً بذلك.

ولما توفي الأمير أحمد بن إسماعيل، تولى
مكانه ابنه نصر بن أحمد، وكان في الثامنة من
عمره، وتلقب بالسعيد، ودامت ولايته ثلاثين
عاماً، وثلاثة وثلاثين يوماً، حيث بايعه أصحاب
أبيه ببخارى، وتولى نصر شؤون البلاد، وقد
أسند تدبير شؤون دولته إلى عبد الله محمد بن
أحمد الجيهاني، فأمضى الأمور وضبط المملكة.

وقد توفي نصر بن أحمد سنة ٢٢١هـ، متأثراً
بمرض السل، وكان حليفاً كريماً عاقلاً، رفيع
النجاد، قوي العناد، وبعد وفاته تولى مكانه ابنه
نوح حكم البلاد، ولما تُوُفِّي الأمير نوح بن نصر
تولى مكانه ابنه عبد الله على ولاية خراسان، وما
وراء النهر، وقام بتدبير أمر دولته بكر بن مالك
الذي تقلد بعده قيادة الجيش بخراسان، ولما
توفي عبد الملك بن نوح تولى بعده أخوه منصور
سنة ٢٥٠هـ.

سقوط الدولة السامانية

يرجع سقوط الدولة السامانية إلى عدة
عوامل، هي:

- ١- النزاع بين أفراد البيت الساماني.
- ٢- خروج القواد وعمال الأطراف عليهم،
واستعانتهم ببعض أفراد هذا البيت على نوح بن
نصر سنة ٢٢١هـ.
- ٣- استعانة بعض القواد، وعمال الأطراف
ببني بويه.
- ٤- تدخل النساء والوزراء في الحكم بسبب
صغر سن بعض الأمراء.
- ٥- اعتماد السامانيين الفرس على القوة
العسكرية المتنامية للأتراك.

النظم التجارية في أسواق بخارى: اشتهرت
بخارى ببعض السلع الهامة، وهي المنسوجات
الصوفية، والسجاجيد القطنية والصوفية،

الدولة، كما استحلّف عضد الدولة على الوفاء لهما .

ولما قسمت البلاد بين أبناء بويه، كانت كرمان من نصيب أحمد بن بويه معز الدولة، ثم وسع رقعة بلاده، وذلك بضم العراق والأهواز سنة ٣٢٦هـ، كما استولى أحمد بن بويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ .

كما استولى أحمد بن بويه على البصرة سنة ٣٢٤هـ، ولما توفي أحمد سنة ٣٥٦هـ، وقد عهد إلى ابنه بختيار، وأظهر التوبة، وتصدق بأموال كثيرة، وتولى أبو منصور بختيار بن معز الدولة بن بويه، ولقب بعز الدولة، وبايعه الجند سنة ٣٥٦هـ .

الفتنة بين بختيار وأصحابه، بدأت بذور الفتنة بين الأتراك والديلم سنة ٣٦٣هـ بالأهواز، وامتدت إلى جميع العراق، وحاول بختيار تسكين الفتنة، ففجز عن ذلك، فجمع الديلم واستشارهم فيما يفعله، فأشاروا عليه بالقبض على رؤساء الأتراك، وأطلق يد الديلم في الأتراك؛ فنهبوا أموالهم ودوابهم، وهرب الأتراك، وأخذ بختيار قطاع السبكتكين، وأمر فنودي في البصرة بإباحة دم الأتراك .

التنافس على العراق بين عضد الدولة وبختيار، تطلع عضد الدولة إلى الاستيلاء على العراق، لتحقيق طموحه السياسي، يتجلى ذلك في مراسلة عضد الدولة لوالده ركن الدولة الحسن بن بويه يستأذنه في حكم العراق، مقابل التنازل له عن جزء من إقطاعاته في فارس، ودفع ثلاثين مليون درهم سنوياً، على أن يدفع عشرة ملايين درهم مقدماً، وذلك لاكتساب شرعية لنفوذه؛ لأنه كان يخطط لهدف توسعي بعيد المدى .

وسار عضد الدولة إلى الموصل، واستولى عليها سنة ٣٦٧هـ، وقد شرع عضد الدولة في عمارة بغداد سنة ٣٩٦هـ، بعد أن ضربتها الفتن، فعمر مساجدها وأسواقها، وأنفقت الأموال على العلماء والقراء، والأئمة، والمؤذنين، والغرباء،

ازدهاراً كبيراً، خاصة علوم القراءات، والحديث الذي كان الاهتمام به كبيراً، وخاصة صحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود .

وكان الاهتمام كذلك بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب والكيمياء والرياضة وعلم الفلك، كما كانت العمارة السامانية في المدن نموذجاً مشابهاً لشكلها في العصور الإسلامية .

الفصل السادس

الدولة البويهية

تنسب الدولة البويهية إلى بويه، وهو رجل متوسط الحال، وكنيته أبو شجاع، ولما عظمت مملكة بني بويه، واشتهر نسبهم، أرجعوه إلى ساسان ملوك الفرس القدماء .

نشأة أسرة بني بويه، لقد نشأت هذه الأسرة ببلاد الديلم، وكانت مهنة بويه صيد السمك، ثم عمل جندياً، وخرج مع الناصر للحق، الحسن بن علي العلوي، وكان له خمسة أولاد المشهور منهم ثلاثة، هم: علي "عماد الدولة"، والحسن "ركن الدولة"، وأحمد "معز الدولة"، وقد عمل أبناء بويه في سلك الجندية، كمادة أهل الديلم .

أمراء الدولة البويهية

١- عماد الدولة علي بن بويه، من سنة ٣٢١هـ إلى سنة ٣٣١هـ: وقد اعترفت الخلافة العباسية به، ولما توفي علي بعث الخليفة الراضي كتاباً إلى الحسن بتعيينه والياً .

٢- ركن الدولة الحسن بن بويه، من سنة ٣٢١هـ إلى ٣٦٦هـ: وقد رغب في تنظيم أمور الحكم، وذلك منعاً للتنافس بين أبناء البيت البويهي، وعلى الأخص عندما شعر بالمرض، وأسند إلى ولده فخر الدولة ولاية همدان وأعمال الجبل، وإلى أخيه مؤيد الدولة، وهو شقيق عضد الدولة، بلاد الري وأصبهان وقم وقزوین، وزنجان، وقد استحلّف الأخوين على طاعة عضد

على الأراضي المقدسة (مكة والمدينة) أو بناء المساجد.

٥- الوقف الرسمي: وهي الأراضي التي يوقفها الخليفة، ولا يكون الوقف إلا من الأملاك الخاصة، وكانت الحكومة تشرف على ري هذه الأراضي، والمحاصيل الزراعية، تشمل الحنطة والشعير، وهما من أهم المحاصيل التي تزرع في العراق، وكذلك الأرز في العراق، وكان التمر من الحاصلات الزراعية الهامة، ووجدت صناعة النسيج، والسجاد، والخزف، والجلود، وقد اهتم بالتجارة، والصادرات والواردات بالنسبة للخارج، واهتم ملوك البويهيين بالثقافة، والأدب والمكتبات والعلوم الرياضية والتاريخ.

الفصل السابع

الدولة الغزنوية

اشتهرت أسرة بني سبكتكين - التي ظهرت على المسرح السياسي منذ أواخر القرن الرابع الهجري، واستمرت حتى أواخر القرن السادس الهجري - بالأسرة الغزنوية، وذلك نسبة إلى مدينة غزنة، أو غزني التي اتخذوها قاعدة لهم، وهي من مدن أفغانستان الحالية الواقعة في سفوح جبل سليمان.

وكان البتكين من غلمان الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني الذي اشتراه في أواخر أيامه، والتحق بخدمة نصر بن أحمد، ثم نوح بن نصر، وتقلد منصب قيادة الجيش بخراسان، وسعى البتكين بكل ما أمكنه من جهد، لوضع الأمور في نصابها، وكان وكلاء البلاط يكتبون إلى البتكين عن كل ما يدور في بخارى عاصمة السامانيين، وتقلد البتكين إمارة خراسان في عهد الأمير عبد الملك بن نوح سنة ٣٥٠هـ، وتشاور الأمراء فيمن يلي الملك، واستأذنوا البتكين الذي كان أكبر الأمراء، فيمن يختاره للملك، واعترض البتكين على تولية منصور بن عبد الملك لصغر سنه، ووقع اختياره على عمه،

والضعفاء، وجدد حفر الأنهار، وأصلح الطريق الذي يربط العراق بمكة.

علاقة الفاطميين بعضد الدولة: كانت العلاقات بين الفاطميين والبويهيين طيبة، وتبذلت الرسائل الودية بين العزيز بالله الفاطمي، وعضد الدولة، حيث اعترف هذا الأمير بإمامة الخليفة الفاطمي، وكانت لقاءات البيزنطيين المتكررة على الأراضي المتاخمة لحدود كل من الدولتين العباسية وأيضاً الفاطمية.

مظاهر الحضارة في العصر البويهي: نظام الخلافة، فقد ضعف مركز الخلافة العباسية، على إثر دخول البويهيين ببغداد؛ وبالنسبة للنظم الإدارية وجدت وظيفة النائب الذي كان ينوب عن الأمير أو الوزير، ونظام الدواوين لإدارة الأقاليم، ومن أشهرها: ديوان الجيش، وديوان الخاتم، وديوان التوقيع، وديوان المصادرات، وديوان الخراج والمظالم والنفقات.

الحياة الاقتصادية في عصر البويهيين: بالنسبة للزراعة نجد أن الأراضي الزراعية كانت تنقسم إلى خمسة أصناف رئيسية، هي:

١- **الأراضي السلطانية:** وهي أراضي الخليفة وأفراد أسرته، وهي في الأصل الأراضي التي استولى عليها العباسيون من الأمويين.

٢- **الإقطاعيات:** تقع أكثر الأراضي المزروعة في هذا الصنف، وكان الخليفة العباسي هو مانح الإقطاع الأول، ثم شاركه أمير الأمراء، وهي نوعان: إقطاع التملك، وإقطاع الاستغلال، وهي إما مدنية أو عسكرية.

٣- **الأراضي المملوكة للأفراد:** ويشمل هذا النوع إقطاع التملك الذي يكون عن طريق الهبات، وإحياء الأراضي المسوات، أو تجفيف بعض المستنقعات.

٤- **أراضي الوقف الخيري:** وهي الأراضي التي يوقفها المسلمون لأغراض دينية، وتتفق مواردها

وتولى بعده ابنه أبو إسحاق، فأعاد الإمارة إلى فلك الدولة السامانية.

ولم يلبث أن توفي سنة ٣٥٥هـ، ولم يخلف أحداً من ذريته في الحكم، فتولى بعده أحد قواد أبيه، ويدعى بالكاتكين، وتوفي أثناء حصاره لقلعة جرديزة في الهند سنة ٣٦٣هـ، فقام بالأمر بعده بييري، وهو من مماليك البتكين أيضاً، واستمر في الإمارة لمدة عامين فساء تدبيره؛ مما أغضب الأهالي عليه وخلعوه، واستقر الرأي على اختيار أبي نصر سبكتكين، وهو من موالي الترك الذين جلبوا من التركستان، وهو غلام تركي الأصل، وهو مملوك البتكين صاحب جيش خراسان، وغلام الأمير منصور بن نوح الساماني. وقد تم فتح بست، حيث حرص سبكتكين على توسيع رقعة دولته على حساب جيرانه، كما فتح قصدار، والهند.

وأقام سبكتكين في بلخ، وبنى فيها دوراً ومساكن، ولما اشتد عليه المرض طلب نقله إلى غزنة، ولكن وافته المنية في الطريق، فنقل ميتاً إلى غزنة، ودفن بها، وقد أفاض المؤرخون في الشاء عليه والحديث عن حبه للجهاد، علاوة على فضله ومعرفته بالعلم، وفي أثناء مرضه عهد إلى ولده إسماعيل من بعده، ولما مات بايع الجند إسماعيل، وأغدق عليهم الأموال، وكان أصغر من أخيه محمود، فاستضعفه الجند، والحواء في الطلب حتى أفنت الخزائن التي خلفها أبوه، ولما علم محمود بخبر والده وهو بنيسابور، أرسل إلى أخيه يعرفه أن أباه عهد إليه لبعده عنه، ويطلب منه تسليم الأمر له، وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه، ولكن إسماعيل لم يفعل، وقد تولى محمود الحكم من أخيه، وقد تولى محمد الحكم بعد وصية من أبيه محمود، وقد تعددت الأسماء لتولي الحكم في البلاد، وقد تمت الفتوحات لعدة مناطق في البلاد، وكان نظام الحكم والإدارة في العصر الغزنوي ممثلاً في السلطة والوزارة والحجابة، والقضاء، وإنشاء الدواوين والوظائف الإدارية والبريد والحياة الاجتماعية المعنى بها. ■

وقبل أن يصل رد البتكين إلى الأمراء، وُلِّوا منصور بن عبد الملك؛ مما أحدث فجوة بين منصور بن عبد الملك والبتكين، وحاول الأخير معالجة الأمر بالتودد إلى الأمير منصور بالهدايا النفيسة والرسائل، ولم تتجح مساعيها فيما أفسده الدهر.

ولم يسلم البتكين من الدسائس ضده في بلاط بخارى، وقد تغير صفو العلاقة بينه وبين الأمير منصور بفعل وشاية أعوان الأمير منصور الذين أخبروه أن البتكين قد استفحل نفوذه بحكم طول مدة ولايته لخراسان، وجمعه للأموال الباهظة، وطاعة الجند له، ووجد الأمير منصور أن الحيلة تقتضي استدعاءه إلى بخارى في سنة ٣٥٦هـ، لكن القائد المجرب للأحداث شعر بمخاوف شديدة من هذا الاستدعاء المفاجئ.

اضطر البتكين إلى الرحيل إلى بخارى، وفي أثناء الطريق تحدث مع الأمراء للخروج عن طاعة الأمير منصور، ولكنهم رفضوا وواصلوا سيرهم إلى بخارى، بينما سار البتكين ومعه ثلاثة آلاف غلام، وقصد غزنة، ولما علم البتكين بنية الأمير منصور، أمر رجاله بالاستعداد للتوجه إلى بخارى، وسار معه نحو ٣٠ ألف خيال من نيسابور إلى سرخس، وعزموا على عزل الأمير منصور وتنصيب البتكين مكانه، ولكنه رفض هذه الفكرة، وأعلن أنه سوف يرحل إلى الهند للجهاد، خيراً من الدخول في صراع مرير مع الأمير منصور، وعين الأمير منصور على ولايته خراسان أبا الحسن سيمجور، وبعث معه عشرة آلاف فارس لحرب البتكين، والتقى معهم عند باب بلخ وهزموا، ولكي يتجنب البتكين الصدام مع الأمير منصور رحل في أوائل عام ٣٥١هـ إلى مدينة غزنة، وقد رفض واليها السماح لهم بدخولها، وحاصرها البتكين، واستولى عليها، وصار ملكاً عليها، وجعل منها دار إقامة له، ويعتبر هذا العام بداية تأسيس الأسرة الغزنوية، ولم يهنا البتكين بالإمارة طويلاً، حيث وافته المنية سنة ٣٥٢هـ،